

التفسير المختصر - سورة طه (٢٠) - الدرس (٥٤-٤٩) : تفسير الآيات ، العقيدة
الصحيحة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٤-٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:
اللهم.. لا علم لنا إلا ما علمتنا إِنك أنت العليم الحكيم.

اللهم.. علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا
الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في
عبادك الصالحين...
أيها الأخوة الكرام:

لازلنا في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون وفي الدرس الماضي كان الحديث عن قوله تعالى:

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠)﴾

وقد ذكرت لكم أن الكون كله بسمواهه وأرضه، بنباتاته بحيواناته، بأسمائه، بأطيافه، بطعامنا
وشرابنا، بأنفسنا وأولادنا ينطق بتوضيح هذه الآية:

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ
الْقُرُونُ الْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضُلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ (٥٢)﴾

هذه الآية تنقلنا إلى موضوع في العقيدة دقيق جداً، ألا وهو أن في حياة الإنسان:
دائرة المحسوسات...
دائرة المعقولات...

دائرة المغيبات...

المحسوسات: أداة معرفتها الحواس الخمس.

المعقولات: أداة معرفتها العقل.

والغميقات: أداة معرفتها الخبر الصادق.

أكبر خطأ يرتكبه الإنسان حينما ينقل قضية من دائرة إلى دائرة.

المعتزلة لماذا انحرفوا في عقيدتهم؟ لأنهم نقلوا دائرة المغيبات إلى دائرة المعقولات، فجعلوا كل
شيء خاضعاً للعقل، وجعلوا العقل هو الحكم على كل شيء.

وأخطأ آناس آخر من حينما عطلوا عقولهم ونقلوا ما في دائرة المعقولات إلى دائرة المغيبات.
أيها الأخوة الكرام:

الشيء إذا ظهرت عينه وأثاره سبيل معرفته الحواس الخمس هذا أسمه اليقين الحسي.

أما الشيء الذي غابت عينه وبقيت آثاره سبيل معرفته العقل.

بعقلك تصل إلى الله، لأن كل ما في الكون يدل عليه وبعقلك تصل إلى أن هذا القرآن كلامه من خلال إعجازه، وبعقلك تصل إلى أن هذا الذي جاء بالقرآن والذي بينه هو النبي عليه الصلاة والسلام، لذلك علماء العقيدة قالوا:

لا يقبل الإيمان تقليداً، لو قبل الإيمان تقليداً، لكان كل الفرق الصالحة عند الله مذورة، مادا يقول أحد أتباع الفرق الصالحة يا رب:

﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةً وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهَتَّدُونَ﴾ (٢٢)

(سورة الزخرف: ٢٢)

لذلك ما كان في دائرة العقل لا يقبل تصديقها، لا يقبل إلا بحثاً ودراسة، وتفكيراً، وتأملاً، لأن الإيمان لا يمكن أن يكون تقليداً، لو كان تقليداً لكان أي مبتدع قال لأتباعه شيئاً عليهم أن يصدقوه. كلهم يعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام أرسل سرية وأمر عليها أنصارياً ذا دعاية، هذا الأننصاري أمر بإضرام ناراً عظيمة قال اقتحموها، لأصحابه، وقف أصحاب النبي فريقين، فريق قال كيف نقتسمها؟ وقد آمنا بالله فراراً منها، وفريق قال نقتسمها لأن طاعة الأمير من طاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام فلما بلغ النبي ذلك قال:

((والله لو اقتحموها لا زلت فيها إلى يوم القيمة، إنما الطاعة في معروف.))

العقل لا يعطى أبداً، وإذا عدمت حوسـب صاحبه أشد الحساب فالذي في دائرة المعقولات لا بد من التفكـر فيه.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبَّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠)﴾

هذه ضمن دائرة المعقولات، أما المغيبات ؟ ما المغيبات ؟ ذات الله عز وجل.

قال عليه الصلاة والسلام:

((تفكروا في مخلوقات الله ولا تفکروا في ذاته فتهلكوا.))

لأن الإنسان الحادث لا يستطيع أن يحيط بالقيم الأبدية شيء مستحيل، هذا العقل أخوانا الكرام ميزان حساس جداً لكن مخصص لبقالية يزن من خمسة إلى عشرة كيلو غرام، أي من خمسين غرام إلى عشرة كيلو غرام، فإذا أردت أن تزين به مركبة حطمته.

فلذلك دائرة المعقولات تصل به إلى الله، وإلى أن هذا القرآن كلامه، وإلى أن الذي جاء بالقرآن نبيه، أما المغيبات فذات الله عز وجل، الآيات المتعلقة بذات الله عز وجل في القرآن الكريم، السلف الصالح فوضوا تفسيرها إلى الله والخلف أولوها تأويلاً يليق بكمال الله أما الذين عطلوها فقد ضلوا وأضلوا، والذين جسدوها ضلوا وأضلوا.

الدائرة الثلاثة دائرة الإخباريات، ليس لك إلا الخبر الصادق قضية ذات الله، قضية الماضي الصحيح.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١)﴾

ما قال له فكر، لا، قال:

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾

هذه قضية الإخباريات، الله أخبرنا عن الماضي السحيق وعن المستقبل البعيد، وعن حال أهل الجنة، وعن الجن، والملائكة وعن كل شيء مغيب عنا فنحن دائمًا في العقيدة عنا ثلاثة موضوعات.

محسوسات: الحواس.

معقولات: العقل.

مغيّبات: الخبر الصادق.

الشيء ظهر عينه وأثاره محسوس.

والذي غابت عينه وبقيت آثاره، كالكهرباء، العقل، يا ترى في الآن بالجامع كهرباء، طبعاً في، الدليل؟ الصوت، تكبير الصوت وتلألق المصباح، هذا الدليل دليل قطعي.

أما الشيء الذي غاب عنا جميماً، غابت عينه وغابت آثاره هذا ما في طريق إلا الحواس لأن عينه غابت، ولا العقل لأن آثاره غابت، هذا هو القسم الثالث وهو القسم السمعي أو الإخباري الذي سببه الخبر الصادق.

أرجو الأخوة الكرام أن أية قضية في الدين يجب أن تصنف بادي ذي بدئ في أحد الدوائر الثلاث فإذا كانت من نوع المغيبات عليك أن تؤمن بها تصديقاً، وإن كانت من المعقولات عليك أن تؤمن بها تحقيقاً، وإن كانت من المحسوسات ينبغي أن تؤمن بها مشاهدة وإحساساً، قال:

﴿قَالَ فَمَا بِالْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضْلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢)﴾

بعض العلماء بنواها خبيثة جداً أرادوا أن يضربوا الدين في العصور الوسطى، فابتدعوا نظرية دارون، وأن الإنسان أصله قرد.

من باب الطرفة أنا أومن بهذه النظرية لكنها معكوسه، كان إنسان فمسخ قرداً الآن، الآن الإنسان مادي، لئيم، خسيس، دنيء وصولي، يضرب بالقيم بعرض الطريق، كان إنسان ذا قيم، فصار قرداً ذا شهوات دنيئة، ليس هذا الموضوع.

هؤلاء الذين زعموا أن الإنسان أصله قرد، هناك آية في القرآن الكريم ترد على كل من استخدم عقله في المغيبات.

العقل في المعقولات، والخبر في المغيبات، والحواس في المحسوسات.

المغيبات لا يجوز أن يسلط العقل عليها، هو عاجز، العقل يحتاج إلى أثر مادي، العقل يحتاج إلى أثر يعرف المؤثر، إلى كون يعرف المكون، إلى نظام يعرف المنظم، إلى تربية يعرف المربي إلى شيء في علم يعرف العالم، العقل لا بد له من أثر، إذا ألغيت الأثر نقلت القضية إلى الإخباريات، فربنا سبحانه وتعالى قال:

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾

(سورة الكهف: ٥١)

يعني واحد لو فرضنا اشتري محل بالثلاثينات، وبالأربعينات أزوج، وبالخمسينات جاب ولد، الولد كبر، قاعد بجلاسه، قال له والله أنا هذا المحل أخذته بزماني بخمس آلاف، فروغ، قال له غير صحيح بابا، قال له أنت متى ولدت أنت، أنا لما أخذت المحل أنا ما كنت مزوج، أنت لم تكن في عالم الأحياء.

يعني لما الإنسان بدو يتتطح ويحكى على الماضي السحيق وكأنه يشاهد شو هذا، هذا كذاب، الله عز وجل قال:

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾

فكل شيء بالماضي السحيق، الله جل جلاله يحدثنا عنه الحديث الصادق وكل شيء في المستقبل البعيد في الجنة والنار، وعالم الملائكة، وعالم الجن والحوض، والصراط، والصحف، وما إلى ذلك، هذا كله خبر صادق.

لذلك أكبر مغالطة تقع بين المسلم وبين خصمه إذا تناقشا، يقل له هات لي، قال له في دليل، الجنة ما لها دليل، دليلاً الخبر الصادق، إن لم تكن مؤمناً بالمتكلم ما لها دليل.

يعني أنا فلت لغرفة لقيت فيها ثريا، وطقم كنبات، وسجادة هذا كل شيء أدركه بعقولي، لقيت رجل، دخل صاحب البيت استقبلني بحرارة، ولباسه أنيق، وضيف ضيافة جيدة، حكمت على عقله أن له عقل راجح وعنه حكمة، أما في غرفة جنبنا بابها مغلق، مهما كنت عقريأً، مهما كنت ذكيأً لا أعرف ما فيها، مهما كان الوارد، لو معه بورد، شوف هون ما بيعرف، أما لو صاحب البيت صادق عندك تقول له شو في بالغرفة التي تلينا، بكلك غرفة نوم، الغرفة التي لا تراها لا لها آثار، ولا في بلوور تشوف شو فيها، ما في غير الخبر الصادق والتي أمامك بالحواس، تصرفات الشخص تحكم على عقله وحكمته وذكائه من تصرفاته.

فحنا في عنا قضية، قبل أن تناقش أي قضية بالدين، لا تسمح لنفسك تسلط عقلك على قضية غيبة، كما أنه لا تسمح لنفسك أن تصدق قضية عقلية، القضايا العقلية يجب أن تتحقق منها بعقلك والقضايا الغيبية يجب أن تومن بها لأن الذي تكلم بها صادق وهو الله سبحانه وتعالى، هذا الكلام من قوله تعالى:

﴿قَالَ فَمَا بِالْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضْلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢)﴾

أما أنت بمذا تفكرون؟ قال:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾

لو ما في تربة، لو أرضنا كلها صخرية، كيف نأكل؟ لو ما في ينابيع، ما قيمة هذه البلدة بلا نبع الفيجة؟ لا شيء، كل ثانية خمسة وثلاثين متر مكعب بالثانية، إلى أين تصل حدود هذا النبع؟ إلى حمص، وإلى نصف الbadia، وتحت نصف لبنان، لبنان فوق حوض هذا النبع، والbadia فوق

حوض هذا النبع، وإلى حمص ويعطينا كل ثانية من خمسة وثلاثين إلى ستة عشر، إلى خمسة عشر في أيام الشح الشديد، إلى ثلث متر مكعب، خمسة ملايين إنسان يشربون من هذا النبع **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾**

يعني مهدا، فيها ماء فيها تربة، فيها نباتات، فيها أسماك فيها أطياف، فيها معادن، فيها أشباح معادن.

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُّلًا﴾

هي لها معنیا:

أول معنى، في وديان، في طرق، في اختتقات، في قناة السويس، في قناة بناما، في باب المندب، في خليج، الله جعل بين البحار مضائق، وجعل بين الجبال وديان، وفي معنى أوسع من المعنى هذا.

يعني لو أن الإنسان يطول شعر الإنسان، يعيش من وراء طول شعر الإنسان مليون إنسان، يمرض الإنسان يعيش من وراء مرض الإنسان مليون إنسان، ما بدو أطباء، كليات الطب وجامعات ودراسات، كم إنسان عايش من مرض الإنسان، كم إنسان عايش من الحر، مكيفات، مرطبات، جليد، وأشياء ملطفة، كم إنسان عايش من البرد مدافئ، وحرمات، وكنزات، كم إنسان عايش من طيش الشباب، بكسرروا السيارات، الابن طايش بعمل حادث، بجي المصلح بعيش الله برزقه من طيش الأولاد، كم إنسان عايش من الجهل، كم معلم في بالعالم.

الله عز وجل جعل بالأرض سبلاً للرزق، سبل، تأتي ذبابة بكل ذبابة بيضاء، تشغل ثمانية آلاف مهندس، تطعم مائة ألف أسرة هي الذبابة هي تفسد المحصول بذلك مهندس زارعي، بذلك مبتدح شري بذلك بخاخة، بذلك هوندا تركب، بذلك فواتير، بذلك تروح تجي، هي مائة ألف أسرة عايش من وراء ذبابة، ما لنا حاسين هنا، إنسان جاهل لازم يتعلم، كم إنسان عايش من التعليم، كم إنسان عايش من الطب، كم إنسان عايش من الحر، كم إنسان عايش من البرد الإنسان جاء عاري الجسد ما عليه ثياب، كم إنسان عايش من اللباس القطن، والصوف، والمنسوجات، والغزل، والنسيج، والصباغ والخياطة، كم إنسان عايش.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُّلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُّوا وَارْعُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ (٥٤)﴾

أنت أحصي ظاهرة النبات، في نبات أثاث خشب، في نبات طعام، في نبات صباغ، في نبات دواء، في نبات للزينة، في نبات إسفنج، في نبات فللين في نبات مسابح، في نبات ليف، في نبات مساويك، في نبات نكاشات أسنان خلة، في نباتات أدوية، في خشب زان للأثاث، في خشب كندي للنوافذ، لأنه الكندي يتحمل برد ورطوبة في خشب من أجل الصناعة لين الكربيت، في خشب من أجل الأساسات المنزل أساسه خشب، بالمرجة، خشب، خاص بالأساسات على الماء يتمدد، مائة نوع خشب.

إذا الإنسان فكر في هذه الآيات وصل إلى الله.

مخلص الدرس:

المحسوسات نؤمن بها بحواسنا...

المعقولات نؤمن بها بعقلنا...

المغيبات نؤمن بها بالخبر الصادق...

وأخطر ما في الدين أن تنقل قضية من الإخباريات إلى المعقولات أو تعكسها، تقع في ضلال مبين.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعود الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وأثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

والحمد لله رب العالمين